برجل رشيد . فوجدت الناس في سلوكهم . على دين ملوكهم . فخرجت من المدينة خائفة تترقب ان يلحقها العذاب المهين . وتوجهت الى الملأ الأعلى وهي تقول (رب نجني من القوم الظالمين) . وللكلام بقية .

﴿ استنهاض همم ﴾

١١

بقية الولايات العربية يكاد يكون الكلام عليها متقارباً متشابهاً من حيث اطماع انكلترا فيها لوقوعها في قارعة الطريقين المؤديين الى الهند البحري والبري فهي ربما كانت تضمر في نفسها التقام جزيرة العرب برمتها وتتمنى لو تكرع فوقها الرافدين دجلة والفرات

(سوريا) ونعني بها البلاد الواقعة بين آسيا الصغرى شمالا ومصر غرباً . ان للدول الغربية بواعث جمة للتطلع الى سوريا والاندساس بينها وبين صاحبها وأقوى تلك البواعث وأعظمها خطرا امران (الاول) كونها معدن الديانة النصرانية ومنبثق الاشعة العيسوية وكفافاً (*) يضم المعاهد المقدسة التي تنتابها الامم المسيحية من كل جنس وعلى أي نحلة يتقاطرون اليها على قصد الزيارة والتبرك و (الثاني) تكاثر النصارى في ربوعها والتفافهم بمسلمي أهلها بما أربى على سائر الولايات العربية . احد هذين الباعثين كاف في انبعاث دول أوربا للاهتمام بسوريا والمساجلة في نيل النفوذ فيها فما بالك وقد اجتمعا معا والمعهود من شنشنة القوم التحمس في خدمة الدين ورفع شأن كهنته والتظاهر بحماية النصارى المنبثين في الاقطار الشرقية والتشوف لسبر اغوار

(*) كنفاف الشيء بالكسر مايضمه ويحيط به فكنفاف النخل اطاره وكنفاف المرآة والصورة هو مايسمونه اليوم (برواز)

سرائرهم وجس نبض حميتهم والاشراف على شؤنهم مع متبوعهم ومواطنيهم فكانت سوريا لما ذكرنا افسح مجال لتسابق خيول اماني هؤلاء القوم وأوسع فضاء لتحويم نسور اطماعهم

كان المجلى في هذا المضمار قبل احتلال الانكليز لمصر هو فرنسا فكادت تخلص اليها اميال نصارى سوريا وتستحوذ على عواطفهم سيما طائفة الموارنة منهم بل كاد اسمها يزاحم حكومة البلاد (لاسيما في لبنان) ولغتها تغلب على اللغة الوطنية فما احتلت انكلترا وادي النيل حتى اخذت ظلال نفوذها تتقلص من سوريا شيئاً فشيئاً وجواسيس آمالها تتراجع من خلال تلك الديار قليلا قليلا وبقي لها من ذلك بقية ربما كانت توازي ماخامر البلاد من شأن الانكليز واظلها من نفوذها . أما الانكليز انفسهم فليس لهم في سوريا رواد نفوذ ولا دعاة مدنية لكن رزقوا من ذلك اقواما هم يزرعون والانكليز يحصدون وهم يغرسون والانكليز يجنون بل تراهم يأكلون ويشربون والانكليز يشبعون ويرتوون نعني بهم الاميركان فانهم انشأوا منذ سنين بين ظهرانينا مدارس ومطابع وكتبخانات ولهم قسيسون ومبشرون ينشرون اللغة الانكليزية ويبثون آدابها بين الفتيان والفتيات فيجني الانكليز عواطفهم وأميالهم ويعتدهم كوى يطل منها على اسرار البلاد وما في زواياها

(الروسيا) لم تفتأ الحروب بينها وبين الدولة العلية جتي حلت من نفوس نصارى سوريا سيما الروم منهم محلا رفيعاً ولا تزال تسعى في استمالة القلوب واشرابها حبها . ولها في فلسطين جمعية كبرى تدعى الجمعية الفلسطينية تحت رئاسة عم القيصر وقد تبسطت من عهد قريب في فينقية والشام وغيرهما من سوريا . وغرض تلك الجمعية الاكبر تعليم اللغة الروسية ونشر آدابها وتعاليمها

بين أهالي البلاد . وقد مهدوا بين يدي مشروعهم السبل ووطؤا المسالك فهرعت الاقوام الى مدارسهم للارتشاف من هذا المنهل العذب وازدحموا حوله حتى لم يعد ماؤه المتفجر يكفي وراداهم وناهليهم وربما اجروا بنابيع اخر اغزر ماء واشد تفجرا . انشأت تلك الجمعية في طرابلس الشام مدرستين واحدة للذكور والاخرى للاناث وبذلت الجهد في تذليل العقبات امام الطالبين والطالبات واعتنت في تسهيل الصعوبات عليهم اعتناء ينطبق على حالتهم في العسر واليسر والكبر والصغر فما ظنك بعداد تلامذة تينك المدرستين الآن ؟ يبلغون قرابة الف ولد مابين ذكر وأنثى اكثرهم اطفال حديثوا عهد بمهد تحنو عليهم المدرسة حنوّ المرضعات على الفطيم تواسي فقيرهم بحاجاته وتتعهد صغيرهم بضروراته وترضعهم لبان العلم والتهذيب من صغر كي يتمكن من نفوسهم تمكن النقش في الحجر

(الالمان) تبوّؤا من سواحل فلسطين عدة محال ومنازل ولم يزل نسر طمعهم — على مايروون — يحوّم حول البحر المتوسط طوراً يسفّ وآونة يحلق يتخير لنفسه وكنات اخر يبيض فيها ويفرخ . وغاية هذا الشعب في بلادنا اقتصادية تجارية ولا نعلم ان كانت له مآرب سياسية او استعمارية بيد انه يتراءى من خلال شؤون دول اوربا ان الالمان اقل نهما واوفى ذمماً من سائر الدول وان كانوا كلهم سواسية (سواء) في خشونة الطبع عند الحفيظة والطيران الى معامع الشر ولو في اقصى الشرق واستباحة التغلب على الامم المستضعفة والصيال عليها بذراع من حديد

لكن قومي وان كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وان هانا
يجزون من ظلم اهل الظلم مغفرة ومن اساءة اهل السوء احسانا

كأن ربك لم يخلق لخشيته سواهم من جميع الخلق انسانا

اما الطليان فقد حاولوا مراراً ان يكون لهم في بلادنا من الاثر والنفوذ مالغيرهم وسعوا في افتتاح مدارس لنشر لغتهم وتعاليمهم فلم يفلحوا وباؤا بالخيبة والحرمان . واكثرهاته الدول طمعاً في سوريا واشدهن ضراوة بها انكلترا بعد الاحتلال وربما كسبت الدعوى عليهن وآبت بالفلج فيما لو جرروها الى المحكمة الدولية الكبرى . اعظم حجة لها بين يدي دعواها التاريخ فهو يشهد بان سوريا حريم لنهر النيل وان كل من ملك ذلك النهر حق له وضع اليد على ذلك الحريم ثم يتبع شهادته بقوله . على ذلك جرى تعامل الامم منذ اسس الملك (مينا) مدينة (منف) الى زمن تولية محمد علي باشا وزحف ابنه ابراهيم علي سوريا . وبناء على اعتبار شهادة الواحد في قوانين تلك المحكمة يحكم الرئيس بصحة دعوى انكلترا ويمنع دعوى المدعين . واذا تلكأ المدعون في قبول هذا الحكم الجائر وحاولوا استئنافه او تمييزه الى محكمة رئيسها المكسيم يمشي حينئذ بعض اعضاء المحكمة بالصلح بينهم قائلا ان في افريقيا والصين لمندوحة عن قعقعة السلاح وفخر السفين

هذا وان نسبة مصر وسوريا الى الهند كنسبة غلق الباب الى الدار فكيف يكتحل رب الباب بغمض قبل ان يطمئن على خزائن داره بايصاد المغلقين وزد على ذلك ان المداولات لم تزل جارية في امر مشروع السكة الحديدية التي تصل بين سواحل البحر المتوسط وسواحل الخليج العجمي لتكون أقرب طريق بين اوربا والهند والشرق الاقصى فلاجرم ان يكون لسوريا مكانة عليا في نفسها

(المنار) لن ترضى الدول باعطاء سوريا لانكلترا الا ان تفنى روسيا وفرنسا